تحت اعمدة المدخل الرئيسي لاحد البيوت الريفيـــة المجاورة ، تجلس لحظات على الدرج للستريح ثم تنهض لتسير في القاعة الكبيرة وتنظـر الى تماثيل المرمر قبل ان تعود الى البيت . ولكنها في يوم مـــن الايام ذهبت ولم تعد ، ووجدوا قبعتها طافية على سطح الماء ، غير بعيد مـن الموضع الذي ينحدر فيه احد الانهار الى البحيرة . ورجح الناس ان تكون قد سقطت بين الصخور وهي تتسلقها على عادتها ، ولكنهم لـــم يعثروا لجسدها على اثر .

وسمعت الام بوفاة ابنتها ، فتلقت النبأ في هدوء وصفاء ، وربمـا اظهر شكرها لله الذي استرد وديعته المسكينة ، واراحها بكارثة موتهـا من كارثة اكبر في حياتها . واعتقدت أن الطفلة قـد كفرت عن خطيئتها وخطيئة ابويها ، وان اللعنة التي نزلت عليها قد رفعها المـــوت عنها . وانتشرت الخرافات عن البحيرة التي تطلب بين حين وحين ضحية ، ولا تطيق الجثث الميتة ، بل تقذفها الى الشاطىء حتى اخر عظمة فيهـــا ، ومنها قصة الام التي غرق طفلها في الماء ، فراحت تدعو الله والقديسين ان لا يحرموها من عظامها ، وتتحول على الشطئان لتجمع العظام التـي يلفظها الموج . وقذفت العاصفة بالجمجمة ، ثم لفظت الجذع ، ولمـــا اجتمعت العظام لفتها في ثوب وذهبت بها الى الكنيسة ، ولم تكد تدخل من بابها حتى احست بان الثوب ينتفخ ، ولم تكـــد تضعه على درجات المذبح حتى بدأ الطفل يصرخ ويخرج من الثوب كاملا ، ولم ينقص فيـه شيء سوى عظمة صغيرة في الاصبع الاصغر لليد اليمنى ، لـم تسترح حتى عثرت عليه ، ودفنته في الكنيسة .

تأثرت الام المسكينة بهذه الحكايات ، فلم تنقطع عن التجول علـى الشاطىء املا في العثور على عظام ابنتها . لم يكن احد يجد في نفسه الجرأة ليصارحها بأن العظام التي تجمعها ليست الا عظـــام حيوانات واسماك ميتة ، فقد كانت تعيش على أمل ان تحمل طفلتها ذات يوم الى كنيسة القديس بطرس في روما ، لتضع الطفلة امام البابا وبقية الاباء ، ليعلنوا بين صيحات الجماهير ان خطيئة ابيها قد غفرت الى الابـــد . وكان الناس يرونها كل يوم وهي عائدة من الشاطىء ، تضم يديها فـــي حنان على العظام الصغيرة ، فيقفون ليشبكوا اذرعهم علـــى صدورهم ويسرع الاطفال الى تقبيل يديها وطرف ردائها .

واقترح الطبيب ان يضعوا الى جانب العظام التي دابت على جمعها هيكلا عظميا صغيرا ، لعله أن يعينها على الشفاء ، أو يردها عن البحث عن ابنتها ويضاعف املها في السفر الى روما . وكان ما توقعه الطبيب ، فقد كانت فرحة الام تزداد مع كل قطعة جديدة يقدمونها اليها ، حتـــى اكتمل الهيكل العظمي الصغير ، فعكفت عليه تشبكه بخيوط الحريـر ، كما هي العادة المتبعة مع عظام القديس . وفي يوم من الايام جاء الطبيب لزيارتها ، وارادت السيدة العجوزة التي ترعاها ان تريـــه كيف يمضي وقتها فأخرجت الهيكل من صندوقه لتعرضه عليه . كانت الام في تلك الاثناء نائمة . وحين استيقظت ذهبت الى الصندوق ففتحته وخـــرت على ركبتيها راكعة وهتفت في فرح : « نعم ! انه حق ! لم يكن حلما . انه حق ! افرحوا معي يا اصحابي ! لقد رأيت الطفلة الجميلة مـــرة اخرى . وقفت امامي والقت القناع عن وجهها الساطع ، وغمـر نورها الحجرة . وتجلت كالملائكة ، وارتفعت عن الارض ، ولم تستطع ان تمـــد يدها على الرغم من محاولتها . ولكنها نادت علي ودلتني على الطريق ، سأتبعها على الفور يا اصحابي ، وسيفرح قلبي . حزني تلاشى ورؤيـة طفلتي التي بعثت حية جعلني اجس بطعم السعادة فـــي السماء . » ومن ذلك اليوم انصرفت بكيانها عن كل ما يثقل بالارض ، واخذت روحها تتحرر شيئا فشيئا من قيود الجسد ، حتى وجدوها في النهاية شاحبة الوجه ، ولم تفتح عينيها بعد ذلك ابدا ، فقد اصابتها الحالة التـــي نسميها بالموت .

اما اخوها اوغسطين فقد لبث مقيما في الدير . منـــع الرهبان اخويه من زيارته ، فكانا يذهبان للاطمئنان عليه من بعيد وهو يسير فـــي

ـ التتمة على الصفحة ٥٧ ـ

الطوفان

الفارس مات.
تترد عبر الشارع في كل الانحاء الكلمات.
وتموج على الارصفة الانات
أنى نذهب في يوم الحشر ؟
ولقد ضاقت دنيانا بالاحلام ،
وما عدنا ننتظر الفجر !!

●

يا حامل ألوية النصر !
يا حامي العلم المعلم في هذا الزمن المتكور في زاوية القبر!
خذ أيدينا واصعد ،
فلعل هواء الارض
ينعشنا ،
يمنحنا القدرة ان حاصرنا الطوفان على الركض !

●

الشارة ما زالت منتصبة
ما زالت ، لكن فوق الكتف وحول الساعد
ما زالت .. لكن كالكرة بسفح الجبل ،
تبادلها الهابط والصاعد !

●

أنى نذهب ؟
دعنا نعبث بتراب القبر ، ونرسم فيه الاحرف ،
ونقطعها .. ونوصلها
دعنا نتلذذ بعض الايام بأكل الاسماك ولوك الطحلب
دعنا نبقى حيث تركنا !!
أنى نذهب ؟ أنى نذهب ؟

دمشق

عبد الرحمن غنيم